

# الثمن

كل شئ له ثمن، سواء في السماء أو على الأرض.

فهكذا يقتضى العدل: عدل الله، والعدالة الأرضية أيض

الحرية مثلاً لها ثمن. وقد صدق الشاعر في قولاً:

وللحرية الحمراء بابٌ بكل يد مضرّجة تُدقُّ

أى مضرّجة بالدم، دم الذين جاهدوا ليحصلوا عليها...

حرية العبيد في أمريكا، كان لها ثمن هو ثورة العبيد في أمريكا.. وحرية السود في جنوب أفريقيا South Africa، كان لها ثمن دفعه مانديلاً الذي احتمل السجن سنوات عديدة، حتى خرج ليكون أول شخص أسود حكم جنوب أفريقيا بعد زوال التفرقة العنصرية..

ونجاة مصر من الاحتلال البريطاني، كان له ثمن:

ثمنه الثورة الجبارة التي قام بها سعد زغلول سنة ١٩١٩ بعد أن نُفى إلى سيشل هو وأصحابه. تلك الثورة الشاملة التي قامت في مصر كلها. وأعقبها الحصول على الدستور لأول مرة سنة ١٩٢٣

كذلك حصول الهند على الاستقلال بعد أن حكمتها انجلترا سنوات عديدة. هذا أيضاً كان له ثمن، هو الجهاد المضنى الذي قام بها الزعيم مهاتما غاندى، في أصوام وفي صبر واحتمال، حتى اعترفت بريطانيا باستقلال الهند أخيراً.

النجاح أيضاً - في أي شيء - له كذلك ثمن:

وثنمه التعب والجهاد. ولاينال النجاح بمجرد الرغبة فيه، فهذه الرغبة وحدها لا يمكن أن توصل إلى النجاح. وكما قال الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاب

وعلى رأى المثل "من جدّ وجد". ولا يقل أحد "لا داعى لأن أتعب. أنا استريح، وأنال ما أريد  
"عن طريق الفهلوة". فالفهلوة يا أخى هي أيضاً ثمن، لمن يستطيع أن يتقنها. وحتى إن  
أوصلت إلى ما تسميه نجاحاً، فهو غير دائم، وقد ينكشف...

يضاف إلى النجاح: التفوق. وهذا لا يمكن أن يناله الإنسان إلا بجهد فائق، غير عادى...

الصحة أيضاً، لا يحصل عليها أحد الا بثمر:

وثمرها هو مراعاة كل القواعد الصحية، وإبعاد الجسد عن كل أسباب المرض والضعف،  
وتقويته بما يحتاج إليه من غذاء ورياضة وهواء نقى. أما في حالة المرض، فثمر الصحة  
هو العلاج اللازم والدواء، وإطاعة الارشاد الطبية واحتمال الألم. وما اكثر الثمن الذي يبذله  
الإنسان في ظروف العمليات الجراحية، سواء من جهة ماله أو احتمالته، والصبر حتى يُشفى.  
وبعد ذلك أيضاً الحرص في فترة النقاهة خوفاً من أن ينتكس...

كذلك أيضاً، كسب محبة الناس، ما أعظم الثمن الموصل إليها...

يحتاج الإنسان في ذلك إلى تدريب طويل على البذل والعطاء، والثبات في ذلك، واحتمال  
أخطاء الآخرين، وحسن معاملة الكل صغار وكبار، وعدم التعامل بالمثل، وعدم الخوض في  
سيرة الآخرين. وإن تحدث عنهم يذكر فضائلهم وينسى ما لهم من سيئات... بهذا كله يكسب  
محبة الناس. كما أنه يدرس ويختبر نفسيات الذين يتصل بهم، ويتعامل مع كل منهم حسب ما  
يناسب نفسيته...

صدقونى، حتى الحب العاطفى بين فتى وفتاة، له أيضاً ثمن. والكل يذكر قصة (مجنون ليلى)  
وما بذله وما احتمله وقاساه...!

الأمانة أيضاً لها ثمن، والطاعة كذلك لها ثمن:

الأمانة الخاصة بعفة اليد، ثمناها تدرب الشخص على ألا يأخذ شيئاً ليس من حقه، ولا يأخذ شيئاً أزيد من حقه. وهكذا يبعد تماماً عن المال الحرام، ويحترس من الرشوة بكل إغراءاتها...

الأمانة في أداء الواجب، ثمناها بذل الجهد على قدر المستطاع في القيام بمسئوليته، وعدم التقصير في شيء منها...

أما عن الطاعة، فثمناها محبة من تطيعه، والتضحية بمشيتك الشخصية لأجل تنفيذ مشيئته، في نطاق مشيئة الله

كذلك تكوين الثروة له ثمن، والوصول إلى السلطة له ثمن...

الثروة لا تهبط على الإنسان من فوق، كعطية مجانية من السماء! وإنما تحتاج إلى جهد وتعب في الحصول. وكثير من الناس يشتهون الثروة ويسعون إليها، ولكن لا ينالها إلا الذين تعبوا في الحصول عليها...

السلطة ما أكثر الذين يسعون إليها ويشتهوها. ولكن الذين حصلوا عليها هم الذين تعبوا من أجلها وصبروا، حتى حصلوا على مكانة توصلهم إلى السلطة

وفي كل ذلك، ليس فقط الحصول على الثروة والسلطة، يحتاج إلى ثمن. بل كذلك الحفاظ على كلٍ منهما يحتاج إلى ثمن. لأن كثيرين من الذين حصلوا عليهما قد فقدوهما بسبب سوء الإستخدام، أو بسبب النفخة الكاذبة والكبرياء...

التوبة أيضاً لها ثمن، وثمناها هو جهاد النفس ضد الخطية:

ونقصد بالخطية كل أنواعها: سواء خطايا الجسد أو الفكر أو القلب، أو خطايا اللسان أو خطايا الحواس وغير ذلك. ومن الناحية الايجابية حفظ نقاوة القلب وامتلاءه بمحبة الله. ثم الثبات في كل ذلك، والبعد عن كل أسباب النكسة الروحية.

صدقوني يا أخوتي، إن الخطية أيضاً لها ثمن.

فما أكثر الذين بذلوا الجهد والمال والصحة ثمناً للخطية. ثم بعد ذلك فقدوا الكل. فلا بقی لهم جهد ولا مال ولا صحة. كما فقدوا الخطية ولم تدم لهم...

أخيرًا احب أن أقول: إن السماء والحياة الأخرى لها أيضًا ثمن:

وثنها هو الإيمان السليم والحياة الطاهرة المقبولة أمام الله. وسعيد كل من ثبت فيهما. وكل من كان في كل حين مستعدًا للقاء الله، بضمير صالح قدامه.